مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 20 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2024 الصفحات 223 ـ 238

القصص القرآني: قراءة في الرؤية والمنهج عند محمد عابد الجابري

Qur'anic Stories: A Reading of the Vision and Method of Muhammad Abed Al-Jabiri

آمال عثماني[1]،* محمّد كعوان[2]

[1] *جامعة قسنطينة 1، الإخوة منتوري (الجزائر)، amel.otmani@doc.umc.educ.dz*

[2] *المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة (الجزائر)، kaouane.mohamed@ensc.dz*

تاريخ الإرسال: 2024/07/13 تاريخ القبول: 2024/12/02

الملخص:

اتخذ الفكر النقدي المعاصر من النص القرآني وقصصه مدونة للقراءة والتحليل لإبراز قيمه الفنية والإعجازية أو لدراسة بنيته التكوينية، مواكبة للتطور الفكري والثقافي الإنساني وبحثا عن رؤى تجديدية لهذا النص. لذلك تشعبت القراءات وتنوعت تبعا لخلفياتها المعرفية والفلسفية وأيضا للأهداف المبتغاة منها، وقد تتبعنا قراءة القصص القرآني عند محمد عابد الجابري بحثا عن المرجعية الفكرية التي وجهت الرؤى النظرية ورسمت الحدود المنهجية وانعكست على الإجراءات التي توسلها في محاورة القصص لتحقيق غايته في الربط بين البعدين التكويني والتأويلي. حيث اعتمدنا في مقاربتنا هذه المنهج الوصفي التحليلي الذي يندرج ضمن المجال المعرفي المرتبط بنقد النقد.

الكلمات المفتاحية:

القصص القرآني؛

محمد عابد الجابري؛

الرؤية والمنهج؛

البعد التكويني؛

البعد التأويلي؛

ABSTRACT:

Contemporary critical thought has approached the Qur'anic text and its stories as a corpus for reading and analysis, aiming to highlight its artistic and miraculous qualities or to study its formative structure. This approach seeks to keep pace with human intellectual and cultural development while exploring innovative perspectives on the text. Consequently, readings have branched out and diversified based on their cognitive and philosophical foundations and intended goals. Accordingly, Muhammad Abed Al-Jabiri's interpretation of Qur'anic stories was investigated to uncover the intellectual framework that guided his theoretical perspectives, defined his methodological boundaries, and shaped the procedures employed with these stories. He intended to connect the formative and interpretive dimensions. Hence, a descriptive-analytical method which falls within the cognitive domain associated with critiquing criticism was adopted.

Keywords:
Qur'anic stories, Muhammad Abed Al jabiri, Mechanisms and Formative, dimension , Interpretative dimension ,

* آمال عثماني

مقدمـــــة

أولى المفكر العربي المعاصر أهمية بالغة لقراءة وتحليل النص القرآني، استنادا إلى معطيات النظرية النقدية الغربية المعاصرة التي تمثلها على مستوى الرؤية المنهجية والممارسة النقدية، متأثرا في الوقت نفسه بالأبعاد الإبستيمولوجية والأنطولوجية التي يمثلها هذا النص ضمن المحيط الفكري والثقافي والاجتماعي العربي؛ بمعنى أن هذه القراءات لا تسعى لإبراز المواطن الجمالية والفنية في هذا النص فقط، وإنما تحاوره ضمن الأطر المعرفية والفكرية المصاحبة للتحول الحداثي وما بعد الحداثي في الحياة الإنسانية عموما؛ فالنص القرآني بإعجازه وبلاغته كان وما يزال أرضا خصبة للنظر والاجتهاد، كما أنه يجود في كل حين بما يجعله متفردا ومتميزا عن جميع النصوص، لذلك يسعى المشتغلون في الحقل النقدي المعاصر لجعل آياته وسوره مدونة خصبة للقراءة الواعية ، ومن معانيه هدفا ومبتغى، مع مراعاة خصوصياته النوعية، ومن ثم السعي لمحاورته بأسئلة تتواءم والرهانات المعرفية المتوخى تحقيقها.

فالوعي بالمنهج وإدراك مرجعياته الفكرية لم يعد مجرد قراءة، بل هدفا يجب تحقيقه على أرضية الفكر النقدي المعاصر، ومن أجل ذلك كان الاهتمام بالغا في اختيار النصوص القرآنية موضوع القراءة، وأخذ القصص القرآني منها النصيب الأعظم؛ فمنذ المنجز النقدي الأول لمحمد أحمد خلف الله المعنون بـ: الفن القصصي في القرآن الكريم والدراسات النقدية، لا تفتأ تجعل من القصص القرآني مدونة* للمحاورة والقراءة والدراسة، وذلك لأنها تطرح إشكالا على مستوى الرؤية الفكرية باعتبار القصة جنسا أدبيا تشعبت من أجله النظريات السردية، وتنوعت المناهج والآليات في قراءتها من أجل تحديد بنيتها التكوينية وأبعادها الفكرية والإنسانية، ناهيك عن ارتباطها بالبعد الديني والغيبي في النص القرآني. ويعد المفكر والناقد العربي محمد عابد الجابري ممن اهتموا بالنص القرآني مواكبة لتحولات النظرية النقدية المعاصرة، ورغبة منه في استثمار ما أمكنه من أدواتها الإجرائية لاستنطاق هذا النص من جهة، والبحث في تكوينه من جهة أخرى، بهدف إيجاد علاقة تربط بين البعدين التكويني والتداولي.

وقبل أن نحدد بعض الآليات الخاصة بمقاربة محمد عابد الجابري للقصص القرآني؛ تقتضي الضرورة المنهجية الإشارة إلى قضية نراها غاية في الأهمية، مفادها أن محمد عابد الجابري مفكر وباحث في القضايا التي تخص بنية المجتمع العربي بصفة عامة، والفرد ضمنه بصفة خاصة؛ فدراساته الفكرية تبحث في تكوين الإنسان العربي بوصف هذا الأخير بنية كلية ذات روافد عقدية، وسياسية، وتاريخية، واجتماعية توزعت في أطروحات مختلفة جسدها مشروعه الفكري والمعرفي عبر مسيرته العلمية. ويعد مشروع نقد العقل العربي أهمها، وذلك ضمن مشاريعه التي نشرها تباعا: "تكوين العقل العربي" 1980؛ الخطاب العربي المعاصر: "دراسة تحليلية نقدية" 1982""إشكاليات الفكر العربي المعاصر" 1988؛ بنية العقل العربي" 1986؛ "العقل السياسي العربي" 1990؛ "العقل الأخلاقي العربي" 2001؛ ؛ إضافة إلى مؤلفات أخرى**. أما الاهتمام بالنص القرآني فلم يكن حاضرا في مشروعه الفكري إلا متأخرا من خلال مؤلفين اثنين هما: "مدخل إلى القرآن: في التعريف بالقرآن". الجزء الأول 2006، و"فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول". 3 أجزاء 2008.

بل إن منطلق دراسته هو التراث وعلاقته بالأنا أو النحن، وكذلك تكوينه وعلاقته بالحضارة الإسلامية من جهة، وبالأوروبية من جهة ثانية؛ ولكن رغم ذلك انتقل في مرحلة لاحقة من إنتاجه الفكري إلى قراءة النص القرآني، ومحاولة تتبع معانيه، ولربما يطرح سؤال نفسه: لماذا اختار القصص القرآني متنا للدراسة؟. وإثر ذلك كيف ربط بين البعد التكويني للنص القرآني والقصص؟ وهل تبنى منهجا أو مناهج نقدية بذاتها، أو أنه وجه أولويته لتداولية القصص ضمن الدعوة المحمدية بصفة عامة وفي النص القرآني بصفة خاصة؟

ولكن قبل استثارة هذين السؤالين، نتساءل عن تموضع النص القرآني، إذا سلّمنا أن دراسة التراث وتحديد عناصره، هي بداية معلم تكوين العقل العربي ونقده؟ بمعنى ماهي القاعدة المعرفية التي كانت منطلقا للجابري لمقاربة القصص القرآني؛ وما موقفه من بعض القضايا الخلافية التي شغلت الفكر العربي المعاصر فيما يخص النص القرآني من حيث تكوينه وتشكله: كالوحي، والنبوة، وأسس جمعه ...؟

أولا: المرجعية الفكرية

ناقش الجابري في سياق اهتمامه بالقصص القرآني مجموعة من المفاهيم والقضايا، التي أعدها أساسية ترتبط بالنص القرآني وبتكونه وبنائه، وفي الوقت نفسه تحدد المنطلقات التي وجهت الناقد في تأويله وقراءته للقصص القرآني، والتي تتمثل فيما يأتي:

1- الوحـــي

اللافت للنظر أن أول ما ذكر في تعريف الجابري للقرآن أنه "وحي من الله تعالى"، وهي ليست مجرد مفردة ضمن تعريف، ولكنها تعد ظاهرة في حد ذاتها، إذ يمكننا التساؤل ما هو الوحي؟ وكيف يتم؟ وقد اهتمت بها النصوص القرآنية لأنه السبب الأول لتكذيب قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، بل واتهامه بالجنون والكهانة والسحر، لأن هذا النبي يتلقى كلاما من الله عز وجل بوسيط.

وقبل أن يتطرق الجابري إلى ضبط مفهوم الوحي، ناقشه في الديانات السابقة: اليهودية والمسيحية وذلك لارتباطهما بطريقه مباشرة أو غير مباشرة بالإسلام الذي أساسه القرآن؛ والوحي هو "مفارقة البشرية إلى المدارك الفلكية، وتلقي كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها، وانسلاخها عنها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر..."[1]. كما يهتم الجابري كثيرا بالذاكرة اللغوية العربية، أو ما يسميه هو معهود العرب؛ إذ يربط بين الجانب اللغوي لبعض المصطلحات وما وجد في لغة العرب، ثم يقارنه بالنص القرآني باعتباره الوعاء الجديد للغة العربية*. فبالبحث في المعاجم العربية وجد لفظ "(الوحي) يدل على عدة معان تشمل الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك"[2].

وتأسيسا على هذا فقد حدد ثلاثة مستويات للوحي، المستوى الأول وهو ما يعرف بالإلهام، والمستوى الثاني الكلام من وراء حجاب، والمستوى الثالث بإرسال ملَك رسول لينقل كلام الله للإنسان[3]. وقد استنتجها من خلال قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ أُللَّهُ إِلَّا وَحْياً اَوْ مِنْ وَّرَآءِ حِجَابٍ اَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً فَيُوحِـ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤٨)[4]. بمعنى أنّ ما تعودت عليه العرب وما أدركته من معان للوحي يخالف

ما أتى به القرآن، لذلك كان موقفها الأولي هو النفور وعدم التصديق؛ فما كان عند اليهود والمسيحيين قد سمعت عنه وعرفت به، وما كان في تراثها قد أوجدته. أما ما جاء مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم جديد عليها فأخذت منه موقفا بالرفض؛ ولذلك كانت تجربة الوحي شديدة على النبي صلى الله عليه وسلم من جهتين، كتجربة في حد ذاتها لقوتها، "فحالة الوحي كلها صعوبة على الجملة قد اشار إليها القرآن، قال تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ٤) المزمل الآيه 05"[5]. وهو يؤكد هذه الفكرة، إذ يبين أنها تجربة روحية صعبة على بني البشر، "ومحمد بن عبد الله واحد من البشر... لذلك تجده يعاني حين نزول الوحي عليه خاصة من الاضطراب"[6]، كما أنه ذكر حالات الاضطراب هذه من خلال الآيات القرآنية* وبعض الأحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم والمقربين منه؛ وهذه الحالات التي يمر بها تنقله من صفته محمد بن عبد الله إلى محمد نبي الأمة ومبلغ رسالتها، وكتجربة لنقل مجتمع من حالة اعتاد عليها إلى حالة جديدة، تتغير معها كل قيمه وعاداته وتقاليده.

2- النبـــوة:

يعد مفهوم النبوة من المفاهيم التي اعتنى بها الجابري في مشروعه الفكري، وقد شغل الكثير من المفكرين والعلماء قبله، إذ يري مالك بن نبي بأننا "لا نستطيع ملاحظة ظاهرة النبوة إلا من خلال شهادة النبي، وفي محتويات رسالته المتواترة المنزلة فالأمر يتعلق إذا بمشكلة نفسية من ناحية وتاريخية من ناحية أخرى"[7]؛ وقد بين الجابري أن مفهوم النبوة هو قرين مفهوم الوحي، وهو غائب عن التاريخ اللغوي العربي بالمعنى القرآني ويتضح "أن المعنى الإسلامي لهذا اللفظ نشأ مع الإسلام"[8]،لأن ما كان مستعملا عند العرب تحت الجذر اللغوي النبوة والنباوة هو بمعنى الرفعة والشرف، كما أنه أشار في معرض البحث عن مفهوم أو معنى مصطلح "النبوة"، إلى المفهوم اللغوي للرسول؛ وبين توظيف المفردة حرفيا أو توظيف مشتقاتها المختلفة من خلال نصوص قرآنية مختارة*، والتي تدل جميعها على الإرسال من الله عز وجل أيا كانت الرسالة، كما أنه أشار إلى تمييز اللغويين بين الرسول والنبي باعتبار التكليف بتبليغ الرسالة؛ فالنبي غير مكلف أما الرسول فمكلف. ولكنه لا يتبنى هذا التقسيم ويستعمل النبي والرسول بنفس المعنى.

وقد نراه إثر ذلك يركز كثيرا على التتبع التاريخي للمواقف الفكرية المرتبطة بهذه القضية أو تلك، فقد عرج على الفرق الكلامية والمذاهب الدينية أثناء مناقشته لمفهوم النبوة ليذكر أهم المحاور التي اهتمت بها والتي شكلت قضايا خلافية فيما بينها، متوسلا بالأركيولوجيا التي تغوص في أعماق الفكر العربي الإسلامي بكل تناقضاته وفرقه واتجاهاته في مناقشته لهذه القضية أو غيرها. .

3- القرآن/ النص القرآني

3-1- هل القرآن جزء من التراث؟

إن الحقيقة التي يجب الإشارة إليها هي استناد الجابري في بناء مشروعه الفكري على بسط عناصر الهوية العربية، أو أصول التفكير العربي وأسس بنائه؛ لذلك أخذ اهتمامه بالتراث حيزا هاما في مشروعه، وفق مسميات متباينة وبعناوين متفرقة. ويعرف التراث بأنه "كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أو ماضي غيرنا سواء القريب منه أو البعيد"[9]. وقد انتهى إلى هذا التعريف بعد مناقشته مجموع العلاقات التي تخص الإنسان العربي، بناء

على مواقفه الفكرية والإيديولوجية، سواء أكان ذلك مع ماضيه أم مع حاضره، ومع حضارته أم مع حضارة غيره.

وعلاوة على ذلك فهو يبحث أيضا عن الوسائل المتاحة أمام الفكر العربي المعاصر، لتحديد علاقته مع التراث؛ فهماً ومحاورةً وقراءةً دون محاولة فصل أي عنصر من عناصره. وميز بين صفتين أساسيتين لهذه القراءة وهما "جعل المقروء معاصرا لنفسه ومعناه فصله عنا،...وجعله معاصرا لنا معناه وصله بنا"[10]؛ أي إنه يعتمد على حركية جدلية حتى لا تنفصل الذات عن التراث وفي الوقت نفسه لا تعيش فيه بانغماس فتبقى رهينتَه.

وكانت قضية التراث قد شكلت جدلا معرفيا واسعا بالنسبة للمفكرين العرب عموما، من حيث تحديد مفهومه ودراسته من جهة، وكيفيه تحديد علاقتنا به من جهة أخرى؛ لكن الاشكالية التي تطرح في الدراسات العلمية التي تهتم بالتراث هي علاقته بالقرآن. فهل يمكن اعتبار النص القرآني جزءا منه أم لا؟ وكيف تتم قراءته وتحليله في ضوء هذه الفكرة؟ وهل يمكن اعتبار ذلك تجاوزا لقدسيته؟. تنوعت الإجابات واختلفت بحسب المرجعيات الفكرية والمدارس الفلسفية التي نهل منها المفكرون العرب*.

أما محمد عابد الجابري فإن موقفه من علاقة القرآن بالتراث فهو ثابت منبثق عن رؤية يعبر عنها بقوله: "لقد أكدنا مرارا أننا لا نعتبر القرآن جزءا من التراث...إننا نعتبر جميع أنواع الفهم التي يسندها علماء المسلمين لأنفسهم حول القرآن سواء كظاهرة...أو كأخبار أو أوامر ونواه هي كلها تراث، لأنها تنتمي إلى ما هو بشري"[11]...فموقف الجابري محسوم انطلاقا من وضعه لقدسية القرآن مرجعية في مقاربته لهذا النص وفهمه؛ فهو ليس نصا بشريا، لذلك فكل الدراسات حوله هي تراث؛ أما هو فلا يعتبره جزءا من هذا التراث ولا يتم البحث فيه أو قراءته إلا بما يناسب قدسيته والغرض من نزوله*.

3-2-تعريف أو تعريفات:

اهتم الجابري في سياق قراءته للنص القرآني بتحديد ماهية القرآن حتى يكون منطلقا له لفهمه؛ فقد خصص مؤلفا كاملا للتعريف به، والكشف عن كيفية تكونه وتشكله؛ إذ يبين أن المفهوم الاصطلاحي للقرآن قد تشكل مع مراحل الدعوة المحمدية، أي تبعا لمسار نزول الوحي ومدى تقبل المتلقين لهذه الرسالة؛ دون أن يهمل في عرضه آراء السابقين من دارسي علوم القرآن والمختصين فيها، وقد قسمها إلى صنفين بحسب إثبات الهمزة من عدمها في مفردة (قرءان) مبينا انعكاس ذلك على المفهوم الاصطلاحي، كما استشهد بآراء بعض البلاغيين وعلماء الكلام؛ ويمكن اعتبار ذلك نقطة انطلاق بالنسبة إليه، لأنه اعتبر أن ما سبق يعتريه النقص والتقصير ليؤكد أن صيغة قرآن مشتقة من الفعل قرأ يقرأ قراءةً وقرآنا، ويربطها بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾؛ لكنه في الوقت نفسه توقف عند هذا المعنى ولم يتعمق في الجانب اللغوي (مختلف المعاجم العربية). أما اصطلاحا فقد استند على مجموعة من الآيات القرآنية وأولها قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٦ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٧﴾[12]؛ ليبين أن التنجيم في القرآن الكريم هو السبب "في الانتقال بلفظ القرآن...من المعنى اللغوي الذي يعني مجرد القراءة، إلى المعنى الشرعي الذي يعني كلام الله المقروء الذي أعرضت عنه قريش وكذبته"[13].

أضف إلى ذلك –تبعا لترتيب النزول الذي اعتمده– أنه تتبع دلاليا المصطلحات التي وردت في النص القرآني ضمن الحقل المعجمي القرآني، والتي تمثلت في الكتاب والذكر والحديث وأخيرا الفرقان، متوصلا إلى استنتاج مفاده أن هذه المفردات أصبحت في معظمها صفات للقرآن*؛ وبما أنه ربط بين تنزيل القرآن كرسالة سماوية، وبين مراحل الدعوة المحمدية، فإن القرآن قد مر بثلاث مراحل: "لحظة القرآن/الترتيل والإعجاز، لحظة القرآن الذكر/ القص... ثم لحظة القرآن/الكتاب: عقيدة وشريعة وأخلاق"[14]. إذا فمصطلح القرآن عند الجابري لم يكن جاهزا بمعنى، ولم يركز فيه على ما جمع بين دفتي المصحف؛ ولكنه يبحث عن القرآن كمعنى ودلالة وكعلامة سيميائية، تعكس مجموعة من الدلالات الحافة التي ارتبطت به، فقد انتقل من المستوى المعجمي اللفظي إلى المستوى الدلالي مرتكزا على الآيات والنصوص القرآنية.

3–3–القرآن وترتيب النزول:

سعى الجابري إلى بعث بعض المفاهيم القديمة بروح جديدة فيما يخص النص القرآني، فقد بين أن جل القضايا التي ناقشها قد شكلت مدونة أساسية فيما عرف بعلوم القرآن؛ لكنه يهدف الى بث رؤية جديدة للنص القرآني، ولتحقيق هذا الهدف ركز على قضية هامة ضمن التراث الإسلامي ألا وهي التمييز بين النص القرآني في المصحف الذي بين أيدينا اليوم كما جمعه عثمان بن عفان، وبين القرآن كما نزل منجما ومفرقا، محددا موقفه منها بصورة يحاول أن تكون موضوعية لا يخرج فيها عن رأي الجمهور، ولا يكرر ما أوجدوه منذ زمن؛ "فإن كان مما ينتمي إلى النسب والتاريخ رجعنا به إلى ترتيب النزول وإن كان مما ينتمي إلى المطلق ولا زمن طرحناه على مستوى القرآن ككل بوصفه يشرح بعضه بعضا ويكون الحكم فيه قصد الشارع وليس الزمن والتاريخ"[15].

فطرح في مناقشته هذه آراء كل من الزركشي والسيوطي فيما يخص هذه القضيه، كما لم يهمل آراء المستشرقين وما قاموا به من قراءة للقرآن وفق ترتيب النزول ونخص هنا بالذكر **نولدكه** (Theodor Nöldeke) وتلميذه **بلاشير** (Régis Blachére)، لكنه في نهاية الأمر استقر على ما اعتمده **الأزهر*** من ترتيب نزول السور القرآنية، مع تقديم بعض التعديلات المقترحة على ترتيب بعضها من حيث تقديمها وتأخيرها على أساس الرؤية المنطقية لتسلسل الأحداث زمنيا فيما يخص الدعوة المحمدية، مؤكدا أن ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة هو توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن المصحف كما هو بين أيدينا اليوم إنما جاء كما أراد الله تعالى ذلك؛ وهنا نلاحظ أنه يقترح الاعتماد على ترتيب النزول في دراسة القرآن وقصصه ليس من باب الرفض لما هو موجود من صيغة المصحف وكينونته، وإنما من أجل البحث عن رؤية جديدة لتكوّن وتكوين النص القرآني.

3–4–إشكالية جمع القرآن:

أثار الجابري هذه القضية مواكبة للمثاقفة الحضارية والفكرية التي مثلتها الدراسات الحداثية للنص القرآني من جهة، ومن جهة أخرى لأنه اتخذ من ترتيب النزول مبدأ أساسيا في قراءته ودراسة تكوين النص القرآني، وقد أدرجها في إطار البحث عن العلاقة بين الحقيقة التاريخية التي تمثل زمن نزول الآيات والسور، وارتباطها بمراحل تبليغ الرسالة ممتدة على مدة تقدر بثلاث وعشرين سنة، وبين الصورة النهائية للنص القرآني التي يمثلها المصحف اليوم. أي أنه

يسعى للبحث عن الظروف والمسببات التي جعلت ترتيب السور القرآنية يختلف عن ترتيب نزولها، وقد حول هذه الفكرة إلى تساؤل فلسفي عن كيفية تشكل حولت المطلق إلى نسبي؛ إذ إنه يبحث عن الطريقة التي تحول بها الوحي المنزل بواسطة جبريل عليه السلام، إلى النص الموجود اليوم بلسان عربي مبين يسمى مصحف القرآن الكريم.

ناقش فكرة جمع وتدوين النص القرآني باتباع منهج البحث الحفري، إذ اعتمد المقابلة بين مختلف الآراء المبثوثة بين دفات المصادر الإسلامية الأولى التي اهتمت بدراسة هذه القضية والبت فيها، كصحيح البخاري، والإتقان في علوم القرآن؛ مركزا على الاختلافات بين السنة والشيعة وأسبابها. إذ بين أن سبب تأكيد الشيعة أن القرآن مدون وقفا زمن النبي صلى الله عليه وسلم هو رفضهم خلافة من بعده (أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان رضي الله عنهم)، ثم انتقل لتقديم الأدلة والأحاديث لإثبات آراء أهل السنة، المتمثلة في أن أبا بكر رضي الله عنه قد ضمه وجمعه إلى بعضه البعض، وأن عثمان رضي الله عنه هو من حرص على تدوينه[**]؛ وفي ثنايا ذلك عرج على مسألة الزيادة والنقصان، وما ارتبط بها من إمكانية التحريف. ثم أبدل هذا المصطلح بالتغيير أو سقوط آية أو آيتين من هذه السورة أو تلك، مستندا بحسب ما يقتضيه المنهج الحفري، على المطابقة بين الروايات وبعض الأحاديث بذكرها في المتن أو الهامش، لكنه يؤكد في نهاية مناقشته لهذه الفكرة بأن ذلك وإن حدث كان بمشيئة الله، مستدلا بمجموعة من الآيات الآتي ذكرها:

قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩) الحجر 9

وقال تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١) النحل الآية 101

وقال تعالى: (وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢) الحج 52

وقال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٣٨ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٩) الرعد 38-39

وقال تعالى: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧) الأعلى 06 و07

من هنا ينتهي إلى إثبات فكرته أن القرآن الكريم قد جمع زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، بإشرافه وبالاعتماد على الكتبة الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالرجوع كذلك إلى ما جمعه أبو بكر رضي الله عنه، متخذا من ذلك منطلقا للبحث في تكوين وتداولية النص القرآني اعتمادا على ترتيب النزول، وهو بذلك يدحض مباشرة فكرة المحدَثين من علماء القرآن من أهل السنة وغيرهم، التي تقول بأن المصحف قد جمع على هذا النحو بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته[***].

ثانيا: آليات الممارسة النقدية:

اهتم المفكر بالقصص القرآني باعتباره خطابا موجها من الله تعالى لإتمام الدعوة المحمدية عبر مراحلها، وكبنية أساسية في تكوين النص القرآني ككل "فهو مرآة ترى فيها الدعوة المحمدية ماضيها وحاضرها ومستقبلها عبر التاريخ المقدس، تاريخ الأنبياء والرسل"[16]. فلم يهتم بالتركيب الفني والأدبي للقصة باعتبار خصائصها السردية والتركيبية، وإنما بحث في أثر بعدها التداولي على تكون وتكوين النص القرآني، بحسب السياقات المختلفة التي مرت بها الدعوة عبر أفضيتها المكانية والزمانية.

وإذا رجعنا إلى علوم القرآن، نجد أنها صنفت القصص القرآني إلى صنفين:

- الصنف الأول: يضم قصص الأقوام السابقة، وقصص الأنبياء، وقصص غير الأنبياء.
- الصنف الثاني: يخص قصص الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها قصص الغزوات، وما ارتبط بها من مواقف وتسمى كذلك بقصص السيرة النبوية.

أما الجابري، فقد استند في تصنيف القصص إلى أغراضها حسب ترتيب النزول، فهي موزعة على كامل النص القرآني الذي نزل مفرقا حسب مراحل الدعوة المحمدية كالآتي:

- الصنف الأول: يهتم بمصير الأقوام السابقة
- الصنف الثاني: خصصه لذكر معجزات ومواقف الأنبياء السابقين أثناء تبليغ رسالاتهم، وكان معظمهم من بني إسرائيل
- الصنف الثالث: ركز فيه على علاقة اليهود والنصارى بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وجدلهم معه، من خلال تذكيرهم بتاريخهم مع أنبيائهم.

وقد تجاوز إثر ذلك قصص الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم ذكر الآيات والسور التي أنزلت، بل سردها سردا مختصرا في ثنايا اهتمامه بالصنف الثالث، وقد ضم الصنفين الأول والثاني إلى المرحلة المكية، مع إعادة تقسيم الصنف الثاني إلى اقسام أخرى تبرز موطن الجدة في قراءته النقدية للقصص القرآني، والتي تتمثل في التتبع الزمني لقصة كل نبي وإبراز الاختلافات فيها بحسب السياق الذي وردت فيه. أما الصنف الثالث فربطه بالمرحلة المدنية*.

وتبعا لهذا التقسيم، نجد أن الجابري حاور القصص القرآني وفق محور أفقي، ركز فيه على الحركة الزمنية لهذا القصص ضمن مراحل الدعوة، ومحور عمودي عمل فيه على إبراز الدور الوظيفي للقصص في تبليغ الدعوة من جهة، وبناء النص القرآني من جهة ثانية، محاولا الربط بين البعدين التأويلي والتكويني ضمن ممارسته النقدية التي لم ينطلق فيها من رؤية منهجية محددة، ولم يربطها بآليات نقدية دون غيرها؛ وسنحاول تتبع هذه العناصر ضمن المحورين الأفقي والعمودي معا.

1- السياق رؤية حديثة أم قديمة؟

يعدّ السياق من العناصر الهامة في قراءة النصوص وتحليل الخطابات وتأويلها، لأنه يربط البنية النصية بباقي البنى الخارجية كظروف تكونه، وزمانه ومكانه، والعناصر الخطابية المساهمة في إرساله وتلقيه، باعتبارها متكاملة في

تشكيل الخطاب/النص. وقد ركز مفسرو القرآن ودارسو علومه على أثر السياق في توجيه المعنى وتخصيص الدلالات من خلال الاعتماد على المكي والمدني، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، محاولين الوصول إلى معانيه تفسيرا وتأويلا؛ كما اهتم به البلاغيون أثناء دراستهم لمواطن الإعجاز البلاغي من خلال رصد العلاقات المختلفة بين اللفظ والمعنى.

وقد انطلق الجابري من فكرة أساسية مفادها أن "المضمون واحد ولكن يصاغ في كل مرة حسب مبدأ: لكل مقام مقال؛ فالمقام هو المتحرك، أما المقال فثابت...في كل مجالات التداول في القرآن الكريم"[17]. فنلاحظ عبارةً تحيلنا مباشرة إلى البلاغة العربية وهي "لكل مقام مقال"، لكن حسب ماسبق هو لا يبحث في المجال الإعجازي، وإنما كيف تؤدي القصة في القرآن وظيفة تداولية، مشيرا إلى أن القصص قد تدرج تبعا لمدى تقبل العرب لهذا الدين الجديد؛ فبدأ بقصص الأقوام السابقة لأنها كانت تمثل جزءا من ثقافتهم، إما من خلال آثارها في طرق تجارتهم، أو سمعوا عنها حكيا، أو حدثت في مناطق قريبة منهم و توارثوا معرفتهم بها؛ ثم تدرج ضمن الإطار العام لانتشار الرسالة في سرد باقي القصص.

وأكد الجابري خلال قراءته للقصص أن السياق والغرض يوجهان القصة الواحدة إلى وجهات متنوعة في النص، انطلاقا من أسباب النزول والتي "قد تكون خواطر جالت في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تكون أسئلة طرحها عليه خصومه أو صحابته أو مطلق الناس؛ كما قد تكون تأكيدا أو استحسانا لموقف أو شجبا واستنكارا"[18].

وهنا يجب الإشارة إلى أنه يستقي أسباب النزول من كتب السيرة النبوية، وقد يلجأ إلى المقارنة بين الآراء فيما يخص بعض الأحداث، أو يعتمد على مفسرين في الهامش الذي حاول استغلاله جيدا ليكون موازيا للمتن ومكملا له؛ فهو يستفيد من أسباب النزول باعتبارها عنصرا أساسيا في التفسير عند المفسرين القدامى، "فقد قال الشيخ أبو الفتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز"[19]؛ وفي نفس الوقت عاملا مساعدا لتحديد الروابط بين مختلف عناصر الخطاب، والتي تتمثل في:

المخاطَبين: وهُم النبي صلى الله عليه وسلم، المؤمنون، كفار قريش، اليهود والمسيحيون.

الغرض: ومنه العام، ويتمثل في الترغيب في الإيمان والترهيب من الكفر؛ ومنه الخاص وهو ما ارتبط بمختلف السياقات التي أطلق عليها مقتضى الأحوال، كتقوية النبي صلى الله عليه وسلم وحثه على الصبر في تأدية رسالته، وتثبيت صحابته من المؤمنين، وبيان مآل ومصير المشركين إن لم يتراجعوا عن مواقفهم وظلمهم، وبيان بعض الحقائق حول عيسى عليه السلام للمسيحيين، وردع اليهود عن كبرهم. وقد وظف مصطلحات أخرى دالة على نفس المفهوم كالقصد والمقصد والمغزى، للدلالة على أغراض الخطاب باعتبار أن "مقاصد المتكلم مؤشرات حاسمة في عملية التأويل وإلغاؤها إلغاء لجزء معتبر من مضمار العمل النصي إن لم يكن إعداما لها"[20]. فتأويل الجابري للقصص القرآني كان ضمن تداوليتها المرتبطة بحال المخاطَبين في كل مرحلة من مراحل الدعوة، وفي كل موقف من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع من في محيطه؛ لذلك اهتم بتحديد العلاقة بين السياق (المقام) والغرض، لأن القصة نفسها

تُعرض بغرضين مختلفين تبعا لسياقين مختلفين، كقصة آدم وقصة مريم وعيسى، إذ ذكرتا في القرآن المكي لغرض يختلف تماما عن الغرض الذي عُرضتا من أجله في القرآن المدني، والسياق قد حدد ذلك.

وإذا تتبعنا هذه العلاقات على مستوى المدونة النقدية، فإننا نلمس حضورا مبطنا لنظرية **جون روبرت فيرث** (John Robert Firth) في جزئها الدال المرتبط بسياق الموقف، والذي يهتم بأثر العلاقات الزمانية والمكانية على تأويل الخطاب وتوجيه دلالته؛ ثم السياق الثقافي الذي يجعل من أثر المحيط الاجتماعي بخصائصه الفردية والكلية ركيزة أساسية له، ومن ثم توجيه القارئ للبحث عن المعنى من خلال هذه العلاقات؛ وهو ما عبر عنه محمد عابد الجابري بأثر معهود العرب الثقافي والاجتماعي على السياق القصصي؛ فممارسته النقدية قد ركزت على العلاقة بين مختلف السياقات وحال المخاطَبين متخذا من أسباب النزول روح قراءته التأويلية.

رغم أنه لم يركز على أثر السياق اللغوي أو عناصره، إلا أننا لا نعدم إشارته لبعض مكونات البنية السطحية لهذه القصص، كالقسَم والالتفات وبعض الضمائر، خاصة منها ضمائر المخاطب، في محاولة منه لربط القصة بالمسار العام للسورة التي احتوتها؛ فالسور التي احتوت قصص الأقوام السابقة ابتدأت بالقسَم، والسور التي ضمت قصة موسى عليه السلام بمختلف مراحلها بدأت بالحروف المقطعة؛ فالجابري في إطار بحثه عن بنية تكوينية للنص القرآني من خلال القصص، قد وظف ما يوافق رؤيته وما يبرر منطلقه المرجعي، مستندا إلى استثمار المفاهيم التي استنبطها من النظريات البلاغية والتفسيرية القديمة والنظريات الحديثة، متمثلة في الوظيفة التداولية للسياق.

2- بنية قصصية أم سردية؟

قرأ الفكر النقدي المعاصر القصة في إطار علم قائم بذاته هو علم السرد، انطلاقا من الشكلانيين الروس وصولا إلى نظريات القراءة والتلقي؛ إذ حددوا عناصرها وآليات تحويل خطابها من أحداث مرتبطة بزمن ما، إلى نص ذي بنية متآلفة العناصر متماسكة في مراحلها وفق إبداع فني متميز؛ واتجه بعض النقاد والمفكرين إلى البحث عن هذه العناصر في قصص القرآن الكريم؛ فكيف أحاط الجابري بمراحل القصة وعناصرها في إطار البعدين التكويني والتداولي؟

لم يهتم الجابري في بداية عرضه لقصص الأقوام السابقة مختصرة بالعناصر القصصية، بل ركز على الأغراض والسياقات التي تربطها ببداية الدعوة، ومع تطور مراحلها ظهرت الحاجة – حسب رأي الناقد– إلى برنامج منظم يتقدم وفق مخطط واستراتيجيات محددة، أساسه الترتيب الزمني للتاريخ المقدس؛ فيربط بين هذا البرنامج والوظيفة الآدائية للقصة ضمن الدعوة المحمدية، متمثلة في سياقها والغرض منها؛ وقد وظف بعض المصطلحات التي حددتها البنيوية في إطار دراساتها النقدية للسرد، كالمشهد والتكرار والبرنامج، دون الإشارة إلى تبني هذا المنهج بآلياته وإجراءاته؛ بل كان يستعير المفهومات لتوضيح رؤيته النقدية، التي أكد من خلالها هدفه المتمثل في عدم دراسة القصة القرآنية دراسة فنية. فكيف وظف ماسبق ذكره في إطار ممارسته النقدية؟

2-1- البرنامـج:

يبدأ البرنامج المنظم مع سورة الأعراف حسب ترتيب الأنبياء زمنيا، بدءا من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم لكنه لا يوظف مصطلح البرنامج* بمفهوم **ألجيرداس قريماس** (Algirdas Julien Greimas)، أي البحث عن الحالات والتحولات ضمن برنامج سردي معين؛ بل يركز على البرنامج القصصي الذي جعل من سورة الأعراف محورا أساسيا، لأنه احتوى على قصص الأنبياء وفق الترتيب الزمني لتكليفهم، وذلك على امتداد أفقي؛ ثم يغوص عمقا ليربط بين هذه السورة وجميع السور المكية التالية لها، من خلال تتبع القصة الواحدة أو جزء منها في هذه السور، مركزا على علاقتها المباشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالته لمشركي قريش، أو علاقتها غير المباشرة بالإيمان والكفر والوعد والوعيد، وهي أهم الاستراتيجيات التي اتبعها القصص القرآني على حد قوله.

وهو بذلك "إنما يعرض زمانا خاصا به هو زمان الدعوة، أما زمان القصة المفترض فيه أن يكون موازيا للزمن الطبيعي، فهو جملة أحداث يذكر منها القرآن في كل مقال ما يناسب المقام"[21]؛ فقصة كل نبي تعرض كأجزاء منفصلة مكررة أو متكاملة بحسب الحاجة إليها، عدا القصص المستقلة وسنأتي إليها لاحقا.

وضمن هذا البرنامج قابل أي قصة من قصص الأنبياء الذين ذكرهم بموقف من المواقف التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم، مستعينا بكتب السيرة النبوية؛ كما قارن خطاب القرآن في هذه القصص خاصة ما يتعلق منها بأنبياء بني إسرائيل بخطاب التوراة، مستغلا الهامش في سرد القصص من الترجمة المباشرة لنص التوراة، أما في المتن فيقابلها بالآيات القرآنية مع شروحات بسيطة إذا لزم الأمر، وإلا فإنه يقدم ملخصات موجزة مع بداية القصة ويتبعها بعناوين تليها مباشرة الآيات المندرجة ضمنها.

2-2- التكـــرار:

اهتم بظاهرة التكرار باعتبارها ذات أهمية عند جميع الدارسين، لكنه في الوقت نفسه "ليس تكرارا في المضمون وإنما في الصيغة، والمضمون واحد ولكنه يصاغ حسب مبدأ لكل مقام مقال"[22]؛ لكنه ينأى عن ذكر أثر التكرار ودوره في بناء القصة من منظور سردي كما بينه **جيرار جينات*** (Gérard Genette) وغيره من رواد السردية البنيوية بصورة واضحة، وقد تتبعه إما من حيث تكرار المعنى الواحد في صيغ مختلفة، ووضح ذلك في قصة نوح كما وردت في سورة نوح، أو تكرار أجزاء من القصة لنفس الغرض، واستشهد بقصة موسى. فقد استعان بجدول أحصى فيه عدد المرات التي تكررت فيها مراحل من قصة موسى وأي منها أكثر حضورا من غيره في القرآن المكي، وذكر السور التي ارتبطت بهذه الظاهرة، أما تأويله لذلك فقد ربطه بحاجة الدعوة إلى ذكر هذه الأجزاء فيما أسماه بقرآن الدعوة.

2-3- المشهـــــد:

يسمح هذا العنصر بإعطاء صورة عن لحظة زمنية معينة سواء تعلق الأمر بالزمن القصصي أو الزمن السردي**، وهو وظف هذا المصطلح بمفهومه دون الوقوف عنده، كما لم يستخرج المشاهد الموجودة في كل القصص، وإنما كلما رأى حاجة إلى التعبير عنه في إطار البحث عن وظيفة القصة وتأويلها. وقد وصف حوار أصحاب الجنة وأصحاب النار، وموقف موسى والعصا وشق البحر بالمشهد.

2-4- الحـــــوار:[***]

ركز على وظيفته ضمن البعد التأويلي، إذ ساهم في زيادة تنوع أساليب القصة في القرآن كما يزيد في توضيح مقاصده، ويساهم أيضا في نقل المشهد، وبالتالي يفتح الطريق للمؤول للربط بين القصة وغرضها وسياقها في هذا الموضع أو ذاك من النص القرآني.

2-5- الترتيب الزمني:

ركز على هذه الظاهرة النقدية بمفهومها[****] دون ذكر أي مصطلح في مجالها، إثر تتبعه لقصة موسى عليه السلام ضمن القرآن المكي؛ فرغم أنه يعتبرها جزءا مهما من المخطط القصصي لبرنامج سورة الأعراف لأنها تمثل قصة أساسية من قصص بني إسرائيل، وأيضا أنموذجا عن الصبر في تبليغ الرسالة ومواجهة الأنبياء لما يعترضهم في سبيل ذلك؛ إلا أنه ميزها بالتركيز على التعاقب بين زمنها الحقيقي (الواقعي) وزمنها القصصي، وقد رمز لتلك المراحل بأرقام رومانية وتابع تعاقبها انطلاقا من بدايتها في سورة الأعراف التي لا توافق ميلاده (البداية الأولى) إلى آخر سورة من السور المكية (العنكبوت)، ثم أفرد لها جدولا ليحصي أكثر المراحل الزمنية تكرارا وكيفية ترتيبها كذلك، ليصل إلى نتيجة ختامية أن هذه التعاقبات الزمنية وهذه الحركة نحو الأمام في زمن القصة ثم الرجوع إلى الخلف، ما هو إلا حاجة فرضتها الدعوة التي كان موضوعها الأساسي الإيمان بالله ونبذ الاستعباد، والإقرار بأن الله وحده لا إله غيره.

وبالتالي فهو وظف هذا البحث في تواتر زمن القصة، ليؤكد الوظيفة الأساسية لهذه القصص والتي كانت منطلقه الأساسي؛ وهنا يتبادر إلى أذهاننا رؤية **بول ريكور** (Paul Ricœur) عن الزمن والوجود التي استقاها من مناقشته لفكرة **أوغستين** (Augustin) للزمن والتأويل؛ فهو يراه "يجمع في مقابلة دائمة بين الطبيعة المتحولة للحاضر الإنساني وثبات الحاضر الإلهي، الذي يضم الماضي والحاضر والمستقبل في وحدة نظر وفعل خلاق"[23]. فالزمن هنا ليس زمنا قصصيا فقط، وإنما له تمثلاته في الحاضر، فينقل الماضي إلى الحاضر وينعكس في المستقبل؛ وهذه الآراء إنما نستشفها من التعليقات والملاحظات والتأويلات التي قدمها الجابري في قراءته لمختلف تحولات القصة، دون التصريح بأي رؤية فلسفية أو نظرية علمية تؤطر آراءه النقدية وتوجهاته الفكرية، بسبب تركيزه على الوظيفة التكوينية والتداولية للقصص القرآني وفق منظوره الزمني.

2-6- مراحل القصة:

ركز على إبراز هذه المراحل المتمثلة في البداية (مقدمة)، عرض الأحداث، النهاية (خاتمة) في قراءته للقصص المنتهية في سورة بذاتها؛ وهي قصص: يوسف، الكهف وما احتوته كذلك من قصص فرعية: قصة مريم؛ مركزا على بنيتها الزمنية وبعدها الوظيفي. وهنا كذلك تبرز فكرة بول ريكور بوضوح، التي تعتبر أن "التقسيم إلى بداية، وسط، نهاية وهو أساس البنى السردية جميعا هو ببساطة بنية زمانية"[24]؛ وقد ربط هذه العناصر ربطا إجرائيا بالدعوة المحمدية عن طريق تقنية الاستطرادات، فكان يربط بين القصة والغرض أو سبب النزول عن طريق تأويل الآيات القرآنية التي تحلل بعض مشاهد القصة أو مراحلها، والتي أطلق عليها "الاستطرادات".

وقد حدد غرضها العام بنقل الخطاب من القصة إلى واقع الدعوة وعلاقة الرسول صلى الله عليه وسلم،

والمواقف التي عايشها بالقصص التي كانت عنصرا أساسيا في بناء النص القرآني؛ فمثلا يبدو واضحا من خلال قراءته أن الأحداث التي عايشها نبي من الأنبياء متطابقة تماما مع ما يمر على الرسول صلى الله عليه وسلم، فمثلا تآمر قوم نوح عليه كما تآمرت قريش على محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك كثير؛ وأيضا من غرض هذه الاستطرادات الدعوة العامة للإيمان والوعد بالجنة والوعيد من النار.

خاتمـــــــة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج حول الرؤية المنهجية للمفكر محمد عابد الجابري وانعكاساتها على ممارسته النقدية، وتتمثل في الآتي ذكره:

1- السعي إلى عدم إدراج قدسية النص وغيبيته محل نقاش ومحاورة، رغم طرح بعض القضايا الخلافية برؤية حفرية ومنهجية شك واضحة، لكنه كان يتجاوزها بجعل الكلمة النهائية للآيات القرآنية حتى لا يكون مصنفا ضمن الحداثيين المغضوب عليهم.

2- محاورة النص القرآني من حيث ترتيب النزول إنما يعكس رغبة في طرح رؤية حداثية مبدعة ومعاصرة للنص القرآني من خلال قصصه، وهو إذ يستعين بآليات النقد السردي البنيوي دون تمثل منهجه، إنما يهدف إلى عصرنة هذا النص وإعادة البحث في بنيته التكوينية ووظيفته الآدائية من وجهة نظر جديدة.

3- اهتم بالجابري بالحضور الزمني في القصص القرآني، فبين أن هذا الزمن ليس واحدا ولا ثابتا وإنما أزمنة مختلفة منها المطلق ومنها النسبي، ومنها الماضي الذي يوافق الحاضر ومنها ما يبني المستقبل، وكلها قد دل عليها من خلال إعادة ترتيب سور النص وتتبع حركتها الزمنية في مسار الدعوة.

4- بدا إهماله لبعض قصص القرآن واضحا، كقصص الغزوات وبعض القصص التي احتوتها قصار السور كقصة أصحاب الفيل، والمبرر في ذلك بحسب ما نراه هو تركيزه على قصص الأنبياء التي تتوافق ومراحل الدعوة المكية منها أو المدنية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش

1. ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن، (2004)، المقدمه، الجزء الأول، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق، ط1.
2. ابن نبي، مالك، (1981)، الظاهره القرانيه، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1.
3. الجابري،محمد عابد، (1991)، التراث والحداثة: دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1
4. الجابري، محمد عابد، (1993)، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6.

5. الجابري، محمد عابد، (2006)، مدخل إلى القرآن الكريم: في التعريف بالقرآن ج1، مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت، ط1.

6. الجابري، محمد عابد، (2009)، بنية العقل العربي دراسه تحليليه نقديه لنظم المعرفه في الثقافه العربيه، مركز دراسات الوحده العربيه، بيروت، ط9 .

7. حسن، مجدي، (2018)، التفسير التداولي للنص القراني، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط1.

8. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (1990)، البرهان في علوم القران، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، ج1، دار المعرفه، بيروت، ط1.

المراجع المترجمة

1. ديفيد وورد، (1999)، الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، ت سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي – المغرب، ط1.

الهوامش والإحالات:

* وهي تلك التي اهتمت بالقصص القرآني على مستوى الفكر النقدي العربي بتطبيق مختلف المناهج والآليات لقراءته والغوص في أعماقه سواء على مستوى الدراسات والبحوث الأكاديمية أو الأعمال الفردية.

** نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي 1980؛ التراث والحداثة: دراسات ومناقشات 1991؛ إضافة إلى دراساته في مجال التربية والتعليم واهتمامه البارز بأعمال ابن رشد تحقيقا ودراسة

[1] ابن خلدون، المقدمه، الجزء الأول، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق، ط1، 2004، ص 209

* وقد تساءل في موضع آخر: هل نزل القرآن بلغه العرب ليبقى مضمونه سجين العالم الذي تحمله هذه اللغه معها، عالم الأعراب أم أنه بالعكس من ذلك نزل بلغه العرب ليتجاوز بهم عالم جاهليتهم إلى عالم آخر (ليخرجهم من الظلمات إلى النور) ينظر: محمد عابد الجابري، بنيه العقل العربي دراسه تحليليه نقديه لنظم المعرفه في الثقافه العربيه، مركز دراسات الوحده العربيه، بيروت، ط1، 1976، ط9 2009، ص 248

[2] محمد عابد الجابري، مدخل الى القران الكريم، في التعريف بالقرآن ج1، مركز دراسات الوحدة العربية– بيروت، ط1، 2007، ص 26، نقله عن لسان العرب لابن منظور ج15، ص 379.

[3] ينظر المرجع نفسه ص 112-113.

[4] سورة الشورى الآية 51

[5] ابن خلدون. المقدمه، ص 210.

[6] محمد عابد الجابري، مدخل الى القران الكريم،ص 106، كما انه ذكر حالات الاضطراب هذه من خلال بعض الاحاديث التي نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

* سوره القيامة، الآيات 16-19.

[7] مالك بن نبي. الظاهره القرانيه، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1981، ص 17.

[8] محمد عابد الجابري، مدخل إلى القران الكريم، ص 114

* الآية 128 سورة التوبة، الآية 16 سورة الشعراء، الآية 31 سورة العنكبوت، الآية 144 سورة آل عمران، الآيتان 6 و 61 سورة الأنعام، الآية 83 سورة مريم، الآية 2 سورة فاطر.

[9] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، 1991، ص 45

[10] محمد عابد الجابريي، نحن والتراث، قراءات معاصره في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 1993، ص 12

[*] في الدراسات الحداثية للقرآن، يعد الاختلاف حول انتماء القران للتراث هو نقطه الانطلاق في تحديد الرؤية النقدية للنص الديني ولانتقاء الآليات المناسبة لقراءته، إذ يرتبط بمنح الإبقاء على قدسية هذا النص والمحافظة على خصائصه الغيبية أو التعامل معه كنص فني أدبي يتم البحث في تكوينه من نواح جماليه وفنيه بعيدا عن وظيفته التبليغيه.

[11] محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، ص 26

[*] بين الكاتب أكرم ضياء العمري في كتابه التراث والمعاصرة أن القران هو جزء من التراث لكن يجب أن يعامل بنفس المنهج الذي نطبقه على باقي العناصر، بمعنى يميز بحسب المنهج المختار بين القران وغيره من عناصر التراث الأخرى. سلسله الأمه، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ط1، 1405هـ، ص 27-28.

[12] الآيات من 16 إلى 19 من سورة القيامة.

[13] محمد عابد الجابري مدخل إلى القرآن الكريم، ص 153

[*] استند إلى الآيات الدالة على مفردات الكتاب من سورة الأعراف الآية رقم 01 والآيتين رقم 51-52 والآيات الدالة على الذكر والحديث هي 27 من سورة التكوير و 56-62 من سورة النجم والآيات الدالة على الفرقان 1-3 سورة الفرقان والآية الدالة على القرآن 20-21 من سورة البروج.

[14] نفسه، ص 167

[15] نفسه، ص 29

[*] ذكره الكاتب في الهامش ص 240

[**] ذكر الذين اتخذهم الرسول صلى الله عليه وسلم لكتابة الوحي زمن نزوله مع تحفيظه لهم في الصدور ومن اشهرهم عبد الله بن مسعود، علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، حتى أنه أشار إلى أن عليا قد جمع مصحفا حسب ترتيب النزول، مشيرا إلى أن ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة هو توقيفي من الرسول صلى الله عليه وسلم، أما ترتيب السور فمختلف فيه بحسب مراحل الدعوة. أنظر الجابري: مدخل الى القران الكريم، ص 215

[***]وهو ما تمثله آراء بعض المحدثين من دارسي القرآن وعلومه كأيمن رشدي سويد، محمد عبد الله درازفي كتابه :مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليلي مقارن،...

[16] المرجع نفسه، ص297.

[*] المرحلة الاولى تتبعها من سورة الفجر ورقمها 10 حسب ترتيب النزول إلى سورة القمر ورقمها 38 والمرحلة الثانية من سورة ص (39) إلى سورة العنكبوت (58) أما المرحلة الثالثة فلم يحددها بترتيب السور، وإنما بانتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة –أي السنة الأولى للهجرة– إلى وفاته

[17] نفسه، ص 293

[18] نفسه، ص 430

[19] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القران، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي واخرون، ج1، دار المعرفه، بيروت، ط1، 1990

[20] مجدي حسن: التفسير التداولي للنص القراني. رؤيه للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2018 ، ص 246،

[*] هو تتابع الحالات وتحولاتها المتسلسلة على أساس العلاقة بين الفعل والموضوع وتحولها؛ إنه التحقيق الخصوصي للمقطوعة السردية في حكاية معطاة، يعني سلسلة من الحالات والتحولات التي تتلاقى في العلاقة بين الفعل الدال على الحالة وموضوعه. يحدد البرنامج السردي دائما بالحالة التي ينتهي إليها. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي– إنجليزي–فرنسي، دار الحكمة الجزائر، د.ط، 2000، ص 148.

[21] محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم. ص 356.

[22] نفسه، ص 291.

[*] بناء ذهني يقصي من كل حدوث ما ينتمي إليه خصيصا لئلا يحافظ منه على ما يشترك فيه مع كل الحدوثات الأخرى التي من الفئة نفسها: جيرار جينات، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة السورية، ط2، 1997، ص 129؛ وحدد له 4 أنماط بحسب العلاقة بين البنية القصصية والسردية؛ ينظر المرجع نفسه ص 130-140.

[**] وقد اعتمد عليه جيرار جينات في تحديد الأشكال الأربعة الأساسية للحركة السردية ويحقق المشهد الحواري إذا افترضنا خلوه من تدخلات الراوي ضربا من التساوي بين زمن الخطاب وزمن الحكاية. ينظر محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار الفرابي، لبنان، ط1، 2010، ص 394.

[***] لم يدرسه جينات لذاته وإنما من خلال علاقته بباقي العناصر السردية الأخرى كالمشهد والمجمل والصيغة والمسافة. ينظر محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 158-159

**** ركز جينات كثيرا على التمييز بين زمن السرد وزمن القصة من خلال المفارقات الزمنية والاسترجاعات والاستباقات. ينظر محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 87

[23] ديفيد وورد. الوجود والزمان والسرد، فلسفة بول ريكور، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي – المغرب، ط1، 1999، ص 53.

[24] المرجع نفسه، ص 223.